

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(108) وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ

إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * (1). هذه هي البداية بهذا الجعل التكويني المستفيض الذي لا يقبل الرد، وهنا تنطلق قضيتان: الأولى هذا الاستفهام من الملائكة: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) ولا يمكن أن يصوّر هذا الاستفهام في طلب المعرفة وإستيضاح الحال بأنّه إعتراض على الله، لأن الإفاضات التي حصل عليها الملائكة، وهم عباد مقربون مكرمون، لا تبيح لهم الإعتراض والآنكار، فهم أعرف بجلالة المقام الألهي، وسمو الحضرة القدسية، وقد يقال بأنهم قد أشكلوا على الله تعالى لمزيد الإفاضة عليهم، فيكون الحال مزيجاً بين الاستفسار والاسترحام والتلطف في المسألة لا على جهة الاعتراض والآنكار، وهذا الإشكال على هذا النحو لا يشكّل ما لا يجوز لهم ولا يباح، لأنهم طلاب معرفة، وهم يستشكلون الأمر لأنهم يقدّسون الله ويسبحونه، فعلى هذا يكون الباعث على ذلك مجرد التعجب من وجود حالتين متقابلتين: حالة الملائكة وهم بين التسبيح والتقديس في السماء، وحالة البشرية في الإفساد وسفك الدماء في الأرض، فكان الجواب: إنه يعلم ما لا يعلمون، فسلّموا للأمر تسليماً. هذا الانقذاح الذهني في التصور الملائكي قد يكون للشفا فية التي جبلوا عليها في الخلق، فهم يتفلسفون بما سيحدث لو وجد هذا المخلوق البشري، وهو ظاهر السياق القرآني، وقد يقال: بأن الله خلق خلقاً قبل آدم، وقد أفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، وكأنهم قاسوا هؤلاء على أولئك، وهذا مما لم ينطق به القرآن، وهو من القياس الباطل. القضية الثانية: بعد أن خلق الله آدم حكى الله ما حدث بقوله: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ *) (2). وهنا يظهر إمتناع إبليس من السجود، فزجره الله تعالى: (قَالَ مَا مَنَّكَ عَلَىكَ _____ (1) البقرة: 30. (2) البقرة: 34.